

على ذكر التعداد القديم :

## سكان مصر

من أقدم العصور الى ما بعد الفتح الاسلامي (١)

للمصريين أقدم الشعوب عهداً بالاحصاء او التعداد . ففي فجر التاريخ ، كان الملك مينا يقوم باحصاء السكان في مملكته مرة كل سنتين ثم مرة كل سنة ( برسد ) وهو عمل كان يقتضيه تنظيم مصر للسياسي الدقيق حينئذ . وفي ايام امشحت الاول في سنة ٢٠٠٠ ق . م نجد اشارات الى الاحصاء وكذلك في القرن السادس قبل الميلاد . وكان الرومان يقومون بعمل التعداد مرة كل اربع عشرة سنة في اثناء حكمهم . وفي ايام الرومان ثم العرب ثم العثمانيين كانت هناك قوائم للسكان يمكن ان تعتبر بمثابة احصاء

ولكن من التعداد معرفة عدد السكان في مصر في تلك العصور لان ما وصل الينا من وثائق التعداد لا يقع غم ، وليكننا نجد في آثار بعض الكتاب الفراعنة واليونان والرومان والعرب ، ارقاماً يمكن ان نحسب قرينة من الحقيقة

كان عدد المصريين في سنة ١٥٠٠ ق . م يقدر بثلاثة ملايين . ولكن الاستاذ مصطفى عامر يذهب في رمانته له عن مشكلة السكان في مصر الى ان انتظر المصري كان يقم اود ١٨ مليوناً من السكان في الالف الاولى ق . م وقد بنى رأيه هذا على زيادة خصب الارض حينئذ في الدلتا ، التي كانت مساحتها الصالحة للزراعة اكبر جداً مما هي الآن قبل تكون البحيرات المالحة والبطائح والصحاري فيها

ولكن ليس عندنا في الاسانيد القديمة ما يؤيد هذا الرقم . وقد كتب المؤرخ ديودورس سيكولوس في القرن الاول قبل المسيح فقال ان سكان مصر في عهد الفراعنة كانوا سبعة ملايين وفي العصر البطلمي ( وهو عصره ) ثلاثة ملايين

وفي سنة ١٨٨٦ ظهر كتاب ليولوس بلوخ Beloch وذهب فيه الى ان عدد سكان

(١) ملخص عن كتاب الدكتور ونيل كابلند "The Population Problem in Egypt" راجع وصفه في مكتبة المتحف

مصر عند وفاة أغسطس قيصر في سنة ١٤ ب. م. كان خمسة ملايين وإن ساحتها كانت ٢٨ ألف كيلومتر مربع وتوسط عدد السكان في الكيلومتر المربع ١٢٩ نفساً أو ٤٦٥ في الميل المربع . وقدم المؤرخ بديج عدد سكان مصر في عهد نيبوتاوس ( ٦٩ ب. م . ) بنهاية ملايين وذلك اعتماداً على قوائم المسكتين ( أي دافعي الضرائب ) وأورد المؤرخ يوسيفوس قولاً للملك اجربيا في القرن الأول الميلادي يستاد منه أن سكان مصر كانوا سبعة ملايين ونصف مليون ماعدا سكان الاسكندرية وإن حدود مصر كانت تمتد إلى الاحباش وبلاد العرب السعيدة وماخاثة للهند وفي القرن السابع الميلادي فتح العرب مصر وقد ذكر المؤرخ لابن بول في كتابه « تاريخ مصر في القرون المتوسطة » ان مؤرخي الفرنج اوردوا ان عمرو بن العاص جمع في سنة ٦٤٤م مال جزية قدره ثمانية ملايين دينار من الذكور البالغين من اهل الدية . فاذا حسبنا انه جمع دينارين من كل ذكر وهو المبلغ المألوف في تلك الايام كان عدد الذكور الذين يزيد عمرهم على ١٠ سنوات اربعة ملايين واذا فرضنا ان هذا العدد كان ٣٠ في المائة من عدد السكان — وهذه هي النسبة التي نستخلص من تعداد سنة ١٩٢٧ — كان عدد سكان مصر غير المسلمين في سنة ٦٤٤م ثلاثة عشر مليوناً وثلاثمائة ألف وهو قريب من عدد السكان في هذا العصر . ولكن شيئاً من الريب يتطرق الى هذا التقدير . لان المؤرخ الذي اورد ما تقدم اورد كذلك ان مال الخراج كان ثلاثة ملايين دينار ، بواقع دينارين للفدان الواحد . أي ان عدد الفدائين المزروعة ماعدا المدن الكبيرة والاراضي التي يملكها عدد يسير من المسلمين كان ١٥٠٠٠٠٠ فدان . واذا قطن عدد كبير من الناس يزيد على ١٣ مليوناً مساحة من الارض لا تزيد على ١٥٠٠٠٠٠ فدان كان ازدحامهم اربعة اضعاف او خمسة اضعاف ما هو الآن في مصر وهو ما لا يعقل

وفي القرن التاسع الميلادي جاء في كتابات بعض المؤرخين العرب ذكر خراج يبلغ ٤٤٨٥٧٠٠٠٠ دينار أي ان عدد الافدنة التي كانت مزروعة بلغ ٢٤٤٢٨٠٠٠٠ فدان . فاذا فرضنا ان ازدحام السكان في هذه الاراضي كان متوسط ازدحامهم الآن في المناطق الزراعية كان عدد سكان مصر غير المسلمين في القرن التاسع الميلادي ٥٤٣٩٠٤٠٠٠ ويجب ان يضاف الى هذا الرقم عدد سكان الاسكندرية والفسطاط وكان معظم السكان المسلمين يقطنونها حينئذ . أما الاسكندرية فكان عدد سكانها في القرن الثامن خمسمائة ألف على ما روي وأما الفسطاط التي أسست في القرن السابع فأصبحت بحسب قول المؤرخ ملن في مقدمة المدن الاسلامية . واذن يصح القول بأن سكان مصر في القرن التاسع كانوا يتفاوتون بين خمسة ملايين وستة ملايين وهو رقم يتفق مع تقدير يلوخ لعدد السكان فيها في القرن الأول الميلادي . وما يرتاب فيه الباحثون المعاصرون ان سكان مصر اربوا في الصور القديمة والمتوسطة على سبعة ملايين أو ثمانية